تفسير سورة الواقعة

وهى مكية

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شبت؟ قال: «شيبتنى هود، والواقعة، والمرسلات، وعَمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت». رواه الترمذى وقال: حسن غريب (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ﴾

الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥] . وقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أى: ليس لوقوعها ـ إذا أراد الله كونها ـ صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الانعام: ٧٣]. ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ ـ كما قال محمد بن كعب : لابد أن تكون. وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أى: تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا فى الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا فى الدنيا وضعاء. هكذا قال الحسن، وقتادة وغيرهما. وعن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تخفض أناسًا وترفع آخرين. وقال محمد بن كعب: تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين، وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفوضين. وقال السُّدِّى: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين. وقال العَوْفِىّ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: أسمعت القريب والبعيد. وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. وكذا قال الضحاك، وقتادة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ أى : حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد فى قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ أى: زلزلت زلزالا . وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه. وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أى: فُتّت فتًا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم. وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

---

(١) الترمذى (٣٢٩٧) وصححه الألبانى .

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثًّا﴾ قال علي رضي الله عنه: كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء. وقال ابن عباس : الهباء الذي يطير من النار، إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئا. وقال عكرمة: المنبث: الذي ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَاءً مُنبَثًّا﴾: كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح. وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها ـ أي قلعها ـ وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّي: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار ـ عياذاً بالله من صنيعهم ـ وطائفة سابقون بين يديه عز وجل، وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه. قال سفيان الثوري عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. وقال ابن جُرَيْج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة. وقال مجاهد: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ يعني: فرقا ثلاثة. وقال ميمون بن مِهْرَان: أفواجا ثلاثة. وقال عثمان بن سراقة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾: اثنان في الجنة، وواحد في النار. روى أحمد عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق، قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» (١). وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَة يعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السُّدِّي: هم أهل عليين. وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل «يس»، سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب، سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. وقال ابن سيرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: الذين صلوا للقبلتين. وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أي: من كل أمة.

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

(١) (٦/ ٦١).

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثُلَّةٌ﴾ أى: جماعة ﴿ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾. وقد اختلفوا فى المراد بقوله: ﴿ الأَوَّلِينَ﴾ و﴿ الآخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصرى ، وهو اختيار ابن جرير. وهذا الذى اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف ؛ لأن هذه الأمة هى خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثانى فى هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ اى: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ اى: من هذه الأمة.

قال عبد الله بن بكر المزنى: سمعت الحسن أتى على هذه الآية : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين. ثم قرأ الحسن: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ قال : ممن مضى من هذه الأمة. وعن محمد بن سيرين، أنه قال فى هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » (١) الحديث بتمامه.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ : « مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره » (٢) ، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة فى إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذى يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت فى الأرض، ولا تعلق أساسه فيها؛ولهذا قال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة». وفى لفظ «حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» (٣). والغرض: أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها، وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن فى هذه

---

(١) البخارى (٣٦٥١)

(٢) المسند (٤/٣١٩) ، والترمذى (٢١٦٩) وقال : حسن غريب .

(٣) البخارى (٣٦٤١)

الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وفي لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفا». وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفا» (١).

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب، يعني: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغيرهم. وقال السدى: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سمي وضين الناقة الذي تحت بطنها؛ لأنه مضفور، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ. وقال: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مخلدون على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، أما الأكواب، فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان. والأباريق: التي جمعت الوصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة.

وقوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة. وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال. وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطية، وقتادة، والسدى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول: ليس لهم فيها صداع رأس. وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم. وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار. وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها. روى الإمام أحمد وأبو يعلى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجْبَة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثنى عشر رجلا، كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ ـ أو: البيذخ ـ قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال: كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عد اثنى عشر رجلا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قصي رؤياك». فقصتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال. هذا لفظ أبي يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم(٢).

وقوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الإمام أحمد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى في شجر الجنة». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكَلَتها أنعم منها ـ قالها ثلاثا ـ وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها». تفرد به أحمد من هذا

(١) البخاري (٦٤٧٢).

(٢) المسند (٣/ ١٣٥) وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤) (٣٢٨٩). وقال الهيثمي في الزوائد (٧/ ١٧٥) : « رجاله رجال الصحيح».

الوجه[١]. وعن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربي، عز وجل، في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزر». فقال عمر: إنها لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «آكلها أنعم منها». رواه الترمذى وقال: حسن[٢].

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين. وقراءة الجر تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله؛ لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ﴾، كما قال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما قال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثانى: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك فى القصور، لا بين بعضهم بعضا، بل فى الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أى: كأنهن اللؤلؤ الرطب فى بياضه وصفائه؛ ولهذا قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى: هذا الذى اتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل. ثم قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ أى: لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا، أى: غثا خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] أى: كلمة لاغية ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ اى: ولا كلاماً فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ اى: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم:٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين ـ وهم المقربون ـ عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين ـ وهم الأبرار ـ كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أى : أى شىء أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وغيرهم: هو الذى لا شوك فيه . وعن ابن عباس: هو الموقَر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضا : كنا نُحدَّث أنه المُوقَر الذى لا شوك فيه . والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفى الآخرة على عكس من هذا ، لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله . عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ قال : أقبل أعرابى يوماً فقال : يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال رسول الله ﷺ :« وما هى ؟ » . قال: السِّدر ، فإن له شوكاً مؤذيًا ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس الله يقول : ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ ،

(١) المسند (٣/٢٢١) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/٤١٧) :« رجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة » .
(٢) الترمذى (٢٥٤٢) .

خَضَد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً تَفتَّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر » [١] .

وعن عُتْبة بن عبد السلمى قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابى فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ؟ يعنى : الطلح ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود ، فيها سبعون لوناً من الطعام ،لا يشبه لون آخر» [٢] .

وقوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضاه، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ،قال مجاهد : ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أى : متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشاً ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ، وظلاله من طلح وسدر .وقال السدى: ﴿مَّنضُودٍ﴾ : مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل .قال الجوهرى : والطلح لغة فى الطلع. وعن أبى سعيد :﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال :الموز .قال:وروى عن ابن عباس،وأبى هريرة،والحسن، وعكرمة، وقسامة بن زهير ،وقتادة ، وأبى حَزْرَة ، مثل ذلك ، وبه قال مجاهد، وابن زيد ـ وزاد فقال: أهل اليمن يسمون الموز الطلح .ولم يحك ابن جرير غير هذا القول .

وقوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ روى البخارى عن أبى هريرة ـ يبلُغُ به النبى ﷺ ـ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ».ورواه مسلم[٣] . وروى الإمام أحمد عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .وكذا رواه البخارى، وعبد الرزاق والترمذى [٤] . وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس، عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل:﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾، قال: « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » .وكذا رواه البخارى [٥]. وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر السريع مائة عام ما يقطعها » [٦] . فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله . فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ . وروى الترمذى عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : حسن غريب[٧] . وقال الضحاك ، والسدى فى قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .وقال ابن مسعود : الجنة سَجْسَج ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وقد تقدمت الآيات كقوله ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ [النساء:٥٧] ، وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٤٧٦) عن سليم بن عامر عن أبى أمامة. وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .
(٢) الطبرانى الكبير (١٧/ ١٣٠) (٣١٨) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٤٤٧) :« رجاله رجال الصحيح » .
(٣) البخارى (٤٨٨١) ومسلم (٦/٢٨٢٦) .
(٤) المسند (٨٠٢،١٠) والبخارى (٣٢٥٢) والترمذى (٣٢٩٢) وعبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٨٧٧) .
(٥) أبو يعلى فى مسنده (٢٩٩٢/ ٢٣٧) والبخارى (٣٢٥١) ، وفى مسند أبى يعلى: «كان فى كتاب أبى يعلى ألف عام».
(٦) البخارى (٦٥٥٢ ، ٦٥٥٣) ومسلم (٢٨٢٧ ، ٨/٢٨٢٨) .
(٧) الترمذى (٢٥٢٥) وصححه الألبانى .

[الرعد :٣٥] ،وقوله :﴿ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات:٤١] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ قال الثورى : يجرى فى غير أخدود .وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ الآية [محمد:١٥] ، بما أغنى عن إعادته هاهنا . وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة فى الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة:٢٥] أى : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعم غيرُ الطعم . وفى الصحيحين فى ذكر سدرة المنتهى قال : « فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلالَ هجر »[١]. وفيهما أيضاً عن ابن عباس قال: خُسِفَت الشمس ،فصلى رسولُ الله ﷺ والناس معه، فذكر الصلاة. وفيه: قالوا : يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكعت . قال : « إنى رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »[٢] . وروى الحافظ أبو يعلى عن جابر قال : بينا نحن فى صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبىّ بن كعب : يا رسول الله ، صنعتَ اليومَ فى الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال: «إنه عُرِضَتْ علَىَّ الجنة، وما فيها من الزَّهْرَة والنَّضْرَة، فتناولت منها قِطْفاً من عنب لآتيكم به ، فحِيلَ بينى وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه». وروى مسلم نحوه[٣] . وروى الإمام أحمد عن عامر بن زيد البكَالى : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمى يقول : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابى : فيها فاكهة ؟ قال : «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى » ، فذكر شيئاً لا أدرى ما هو ، قال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك » . فقال النبى ﷺ : « أتيتَ الشام ؟ » قال : لا . قال : « تشبه شجرة بالشام تدعى الجَوزة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : «لو ارتحلت جَذَعَة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً » . قال : فيها عنب ؟ قال: «نعم». قال : فما عظم العنقود ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر » . قال : فما عظَم الحَبَّة ؟ قال : « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ » قال : نعم . قال : « فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، فقال : اتخذى لنا منه دلواً ؟ » . قال : نعم . قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال: « نعم وعامَّة عشيرتك »[٤] .

وقوله : ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبدا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شىء . وقال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بُعدٌ . وقوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أى: عالية وطيئة ناعمة . وقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ : جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر الفرش ، على النساء اللاتى يضاجعن فيها، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن،

---

(١) البخارى (٣٢٠٧) ومسلم (٢٥٩/١٦٢) . (٢) البخارى (١٠٥٢) ومسلم (١٧/٩٠٧) .

(٣) انظر : مسلم (٩٠٧) .

(٤) المسند (١٨٣/٤) وقال الهيثمى فى الزوائد (٤١٦/١٠) : « فيه عامر بن زيد البكالى وقد ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات » .

كما فى قوله : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص:٣١ ، ٣٢] يعنى : الشمس ، على المشهور من قول المفسرين . قال الأخفش فى قوله : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك . وقال أبو عبيدة : ذكرن فى قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة:٢٢ ، ٢٣] .

فقوله : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ أى : أعدناهن فى النشأة الأخرى بعدما كُنَّ عجائز رُمْصاً ، صرن أبكاراً عرباً ، أى : بعد الثيوبة عدن أبكاراً عُرُباً ، أى : متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة. وقال بعضهم : ﴿ عُرُبًا ﴾ أى : غَنِجات . وفى حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم فى دخول الجنة فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم فى دخولها. فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله فى الدنيا ، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة ، على سرير من ذهب مُكَلَّل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجاً من سُنْدُس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة ـ يعنى : وكبدها له مرآة ـ فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذَكَره ولا تشتكى قُبُلها إلا أنه لا منى ولا مَنِيَّة ، فبينما هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أن لك أزواجاً غيرها ، فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما فى الجنة شىء أحسن منك، وما فى الجنة شىء أحب إلىّ منك »[1] .

وروى أبو داود الطيالسى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى النساء » . قلت : يا رسول الله، ويُطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » .ورواه الترمذى وقال : صحيح غريب[2] . وروى أبو القاسم الطبرانى عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا فى الجنة ؟ قال ﷺ « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء »[3] .قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : هذا الحديث عندى على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعنى متحببات إلى أزواجهن ، ألم تر إلى الناقة الضبعة ، هى كذلك.وقال الضحاك ، عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وغيرهم. وعن عكرمة قال: سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : هى الملقة لزوجها . وعن عكرمة : هى الغَنِجة .وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العُرُب : حسنات الكلام . وقوله : ﴿ أَتْرَابًا ﴾ قال ابن عباس: يعنى: فى سن واحدة ،ثلاث وثلاثين سنة . وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفى رواية عنه : الأمثال .

---

(١) مضى عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الأنعام ، وتخريجه هناك .

(٢) أبو داود فى مسنده (٢٠١٢) والترمذى (٢٥٣٦) .

(٣) الروض الدانى (٢/ ٦٨) (٧٩٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٤٢٠): «ورجال هذه الرواية رجال الصحيح غير محمد ابن ثواب وهو ثقة» .

وقال عطية : الأقران . وقال السدى : ﴿أَتْرَابًا﴾ أى : فى الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعنى : لا كما كن فى الدنيا ضرائر متعاديات . وقوله : ﴿ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى:خلقنا لاصحاب اليمين ، أو : ادخرن لأصحاب اليمين ، أو: زوجن لاصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لاصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير .

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ متعلقاً بما قبله ، وهو قوله : ﴿أَتْرَابًا . لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : فى أسنانهم . كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرّىّ فى السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خَلْقِ رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء »(١) . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جِعَاداً مُكَحّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع »(٢) . وروى الترمذى عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : حسن غريب(٣) .

وقوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ أى: جماعة من الاولين،وجماعة من الآخرين . عن عبد الله بن مسعود، قال ـ وكان بعضهم يأخذ عن بعض: أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه ، فقال : « عُرضت علىّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر علىّ النبى ، والنبى فى العصابة ، والنبى فى الثلاثة ، والنبى ليس معه أحد ـ وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود:٧٨] ـ قال: حتى مَرّ علىّ موسى بن عمران فى كَبْكَبَة من بنى إسرائيل، قال : « قلتُ : ربى ، من هذا ؟ . قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بنى إسرائيل » . قال : « قلت : رب ، فأين أمتى ؟ قال : انظر عن يمينك فى الظراب » . قال : « فإذا وجوه الرجال » . قال : « قال : أرضيت ؟ » . قال : قلت :« قد رضيت ، رب » . قال : انظر إلى الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت؟ قلت : رضيت ، رب ». قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفا ،يدخلون الجنة بغير حساب ». قال: وأنشأ عُكّاشة بن محْصَن من بنى أسد ـ قال سعيد : وكان بَدْرياً ـ قال : يا نبى الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : فقال : « اللهم اجعله منهم ».قال : أنشأ رجل آخر، قال : يا نبى الله، ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فإن استطعتم ـ فداكم أبى وأمى ـ أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الظراب، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق، فإنى قد رأيت ناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله ». ثم قال: « إنى

(١) البخارى (٣٣٢٧) ومسلم (٢٨٣٤/ ١٥) .

(٢) المسند (٧٩٢٠) وقال الشيخ شاكر :« إسناده صحيح » . قوله : « جعاداً » : هو بكسر الجيم وفتح العين المهملة مخففة ، جمع « جعد » وهو الذى شعره غير سبط ، وهى صفة مدح ؛ لأن جعودة الشعر هى الصفة الغالبة على شعور العرب . وسبوطته هى الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس وأمثالهم من الأعاجم .

(٣) الترمذى (٢٥٤٥) .

لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » . فكبرنا ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » . قال: فكبرنا ، قال : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾. قال: فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ فقلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام ، ولم يشركوا . قال : فبلغه ذلك ، فقال: « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . وروى ابن جرير نحوه[1] . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها [2] .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ أي : أي شيء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فسَّر ذلك فقال : ﴿فِي سَمُومٍ﴾ وهو : الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ﴾ وهو : الماء الحار ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة والسُّدِّي، وغيرهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ. لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ . إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات:٢٩ـ٣٤] ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾ أي: ليس طيب الهبوب ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾ أي : ولا كريم المنظر. وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس بكريم .

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي : كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم ، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل. ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ أي : يُصَمِّمون ولا ينوون توبة ﴿ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله . قال ابن عباس : ﴿ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة، وقتادة ، وغيرهم. وقال الشعبي : هو اليمين الغموس . وكانوا يقولون : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ ؟ يعنى : أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحداً ، كما قال : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود:١٠٣ـ ١٠٥] .

---

(١) ابن جرير في التفسير (٢٧/١٠٩) .

(٢) البخاري (٦٤٧٢) .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أى : هو موقت بوقت مُحَدد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ : وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملؤوا منها بطونهم ، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ وهى الإبل العطاش ، واحدها أهيم ، والأنثى هيماء ، ويقال : هائم وهائمة . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير، وعكرمة : الهيم : الإبل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال: الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصاً ولا تَرْوَى . وقال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تَرْوى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً .

ثم قال تعالى : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى : هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال فى حق المؤمنين:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف:١٠٧] أى : ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يقول تعالى مُقرراً للمعاد، ورادّاً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات:١٦] ، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ اى:نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى ؛ فلهذا قال : ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ أى : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ أى : أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أى : صرفناه بينكم . وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : وما نحن بعاجزين ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ أى : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة ـ وهى البَداءة ـ قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأحرى ، وكما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] ،وقال: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:٦٧] ، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٧ـ ٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ .أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ [القيامة:٣٦ـ٤٠] .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾

يقول تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ ؟ أى: تنبتونه فى الأرض ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين نقره قراره وننبته فى الأرض . وقوله: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ أى : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاماً ، أى : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ،﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾. ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : لو جعلناه حطاماً لظَلْتُم تفكهون فى المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أى : لَمُلْقَون . وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمولع بنا . وقال قتادة : معذبون. وتارة تقولون: بل نحن محرومون. وقال مجاهد أيضاً : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ ملقون للشر ، أى: بل نحن مُحَارَفون ، قاله قتادة ، أى: لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .وقال مجاهد : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : محدودون ، يعنى : لا حظ لنا . قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ : تعجبون. وقال مجاهد أيضاً: تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم.وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم. وهذا اختيار ابن جرير .وقال عكرمة: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدى : تندمون . ومعناه إما على ما انفقتم ، أو على ما أسلفتم من الذنوب .

ثم قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ يعنى: السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ يقول : بل نحن المنزلون. ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ أى : زُعاقاً مُرّا لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ! ﴿ لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠، ١١] .

ثم قال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ﴾ أى : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها من أصلها ، ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشُئُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ ، والأخرى : العفَار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحُك أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار . وقوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ : قال مجاهد ، وقتادة : أى تُذكّر النارَ الكبرى . روى الإمام أحمد فى مسنده : عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد »(١) . وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار

(١) المسند (٧٣٢٣) وقال الشيخ شاكر: « إسناده صحيح » .

جهنم ». فقالوا : يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » . رواه البخارى ومسلم وفى لفظ : « والذى نفسى بيده ، لقد فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها » (١) . وروى الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » (٢) .قال الضياء المقدسى : وهو عندى على شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عربى : يعنى بالمقوين : المسافرين ، واختاره ابن جرير .وقال غيره : القىّ والقَوَاء : القفر الخالى البعيد من العمران .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوى هنا الجائع .وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد: ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾: للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وقال ابن أبى نَجيح، عن مجاهد قوله : ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادى من غنى وفقير ، الجميع محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها فى الأحجار ، وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات . فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً فى حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبى خِدَاش حَبَّان بن زَيد الشَّرعَبى الشَّامى ، عن رجل من المهاجرين من قَرَن ، أن رسول الله ﷺ قال : «المسلمون شركاء فى ثلاثة : النار والكلأ والماء» (٣) . وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يُمنعن : الماء والكلأ والنار » (٤) .

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة . وخلق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم ، وزاجراً لهم فى المعاد .

ربع ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾

هذا قسم من الله عز وجل ، يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير. ويكون جوابه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ .وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسماً به على منفى ، وتقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية: معنى

(١) البخارى (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣/ ٣٠) .
(٢) الطبرانى فى الأوسط (١/ ١٥٥) (٤٨٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٣٩٠) : « رجاله رجال الصحيح » .
(٣) المسند (٥/ ٣٦٤) وأبو داود (٣٤٧٧) وصححه الألبانى . (٤) ابن ماجه (٢٤٧٣) .

قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ ﴾ : فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا فى معنى قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، فقال ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة، فهو قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : نجوم القرآن. وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والسدى . وقال مجاهد أيضا : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ فى السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها: منازلها . وعن الحسن أيضاً : أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة . وقال الضحاك : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ يعنى بذلك : الأنواء التى كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا قالوا : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أى : وإن هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أى : إن هذا القرآن الذى نَزَل على محمد لكتاب عظيم ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ أى : معظم فى كتاب معظم محفوظ موقر . عن ابن عباس : ﴿ لا يَمَسُّهُ ﴾ قال : الكتاب الذى فى السماء ﴿ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ يعنى : الملائكة . وكذا قال أنس، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، وغيرهم. وقال قتادة : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما فى الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس، والمنافق الرجس . وقال ابن زيد: زَعَمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] . وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التى قبله . وقال آخرون : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أى : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب ، قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو[1] .

وقوله : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى : هذا القرآن منزل من الله رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذى لا مِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع . وقوله : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ قال ابن عباس: أى مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك، والسُّدّى . وقال مجاهد : ﴿ مُدْهِنُونَ ﴾ أى : تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم . ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال بعضهم : يعنى : وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون ، أى : تكذبون بدل الشكر . وعن ابن عباس قال : ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً ، يقولون : مُطِرْنا بنوء كذا وكذا. وقرأ ابن عباس: « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وروى مالك فى الموطأ عن زيد بن خالد الجُهَنى أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا،

---

(١) مسلم (١٨٦٩/ ٩٢) ، ورواه البخارى (٢٩٩٠) .

فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » . أخرجاه فى الصحيحين، وأبو داود ، والنسائى[١] . وروى مسلم عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الغيث ، فيقولون : بكوكب كذا وكذا » . تَفَرَّدَ به مسلم من هذا الوجه[٢] .

وقال مجاهد : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال : قولهم فى الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد . وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب. فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله: ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ أى : الروح ﴿ الْحُلْقُومَ ﴾ أى : الحلق ، وذلك حين الاحتضار، كما قال : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة:٢٦ ـ ٣٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ أى : إلى المحتضر وما يُكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ أى : بملائكتنا ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ أى : ولكن لا ترونهم . كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] .

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا ﴾ معناه : فهلا تَرجعُون هذه النفس التى بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ، ومقرها فى الجسد إن كنتم غير مدينين .قال ابن عباس : يعنى محاسبين. ورُوى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدى مثله .وقال سعيد بن جُبير، والحسن البَصْرِىّ : ﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون ، فردوا هذه النفس .وعن مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غيرموقنين .

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين . وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ ﴾ أى : المحتضر ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات و المكروهات وبعض المباحات ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ أى : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما تقدم فى حديث البراء : أن ملائكة الرحمة

(١) مالك فى الموطأ (١/ ١٩٢) والبخارى (٨٤٦) ومسلم (٧٢/ ١٢٥) وأبو داود (٦ ـ ٣٩٠) والنسائى (٣/ ١٦٤) .
(٢) مسلم (٧٢/ ١٢٦) .

تقول : « أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجى إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان » [١] . قال ابن عباس: ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ يقول :راحة وريحان، يقول : مستراحة. وكذا قال مجاهد: إن الروح : الاستراحة .وقال سعيد بن جبير ، والسدى : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: جنة ورخاء. وقال قتادة: فروح : فرحمة . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ : ورزق . وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور والرزق الحسن ، ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم :٢٧] .

وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : روى الإمام أحمد عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله ﷺ : أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تكون النسمُ طيراً يعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها» [٢]. هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى «يعلق»: يأكل، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن كعب بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[٣]. وهذا إسناد عظيم، ومتن قويم. وفى الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ، تسرح فى الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش»[٤] الحديث.

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام لك ، أى : لا بأس عليك، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة ، وابن زيد : سَلِم من عذاب الله ، وسلَّمت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين. وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .وقال البخارى : ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ ﴾ أى: مُسلم لك ، إنك من أصحاب اليمين . والغيت « إنَّ » وبقى معناها .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، ﴿ فَنُزُلٌ ﴾ أى : فضيافة ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته .ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أى : إن هذا الخبر لهو الحق اليقين الذى لا مرية فيه، ولا محيد لأحد عنه .﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ وروى البخارى عن أبى هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » .ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود مثله [٥] .

---

(١) مسند أحمد (٨٧٥٤) وقال الشيخ أحمد شاكر :« إسناده صحيح » وابن ماجه (٤٢٦٢) .
(٢) المسند (٦/ ٤٢٤) . (٣) المسند (٣/ ٤٥٥) .
(٤) مضى الحديث عند تفسير الآية (١٦٩) من آل عمران ، وتخريجه هناك .
(٥) البخارى (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤/ ٣١) والترمذى (٣٤٦٧) والنسائى فى الكبرى (١٠٦٦٦) وابن ماجه (٣٨٠٦).